مادة النص الأدبي المعاصر **جميع التخصصات**

المستوى: السنة الثانية ليسانس **الأستاذ: بن زياني**

المحاضرة رقم: 07 **قصيدة النثر**

توطئة:

من مظاهر التجديد في العصر الحديث والمعاصر ظهور تيارات أدبية متعدّدة انقسمت بين مُحافظ ومجدّد، وكلّ هذه التيارات الأدبية نشأت بفعل التغيرات التي حدثت في الحياة العربية من الناحية السياسية، والاجتماعية، والفكرية،، مما أثر في مفهوم الشعر من تيار أدبي لآخر، وكان لكلّ تيار أدبي خصائص فنية يتميز به عن غيره، ومن أهم هذه التيارات: مدرسة الإحياء، جماعة الديوان، مدرسة أبولو، وكذلك ظهور جماعة شعر التفعيلة، وبعدها جاءت جماعة (مجلة شعر) الذين دعوا إلى كتابة "قصيدة النثر" وفق مفهوم جديد للشعر، يجد الشاعر فيه الحرية في التعبير عن مشاعره وفكره دون قيود.

وعليه سنقف في هذه المحاضرة عند تعريف هذا النوع الجديد من الشعر، مع ذكر أهم خصائصه، والإشارة إلى نشأة قصيدة النثر، وعرض آراء بعض النقاد حولها ، مع تقديم نماذج شعرية.

1-تعريف قصيدة النثر:

تُعرف الناقدة الفرنسية سوزان برنار قصيدة النثر في قولها هي: "قطعة نثر موجزة بما فيه الكفاية، موحّدة، مضغوطة، كقطعة من بلّور...خلق حرّ، ليس له من ضرورة غير رغبة المؤلف في البناء خارجاً عن كلّ تحديد، وشيء مضطرب، إيحاءاته لا نهائية"، ولقصيدة النثر إيقاعها الخاص وموسيقاها الداخلية، التي تعتمد على الألفاظ وتتابعها، والصور وتكاملها، والحالة العامة للقصيدة.

ويمكننا القول أنّ قصيدة النثر هي ذلك الشكل الفنيّ الذي يسعى إلى التخلّص من قيود نظام العروض في الشعر العربيّ، والتحرّر من الالتزام بالقواعد الموروثة من القصائد التقليديّة، بالإضافة إلى ما تقدّم فقد عرفّها بعض الأدباء بأنّها عبارة عن نصّ تهجيني يمتاز بانفتاحه على الشعر والسرد والنثر الفني؛ ويتّسم بافتقاره للبنية الصوتية الكمية ذات التنظيم؛ إلا أنّ له إيقاعاً داخلياً.

2- خصائص قصيدة النثر:

- خلوّها من الوزن والقافية.
- قلّة المحسنات البديعيّة، وتحررّها من قوانين وأحكام، أي أنّها تكتب وفقاً للفكر الخاص بالشاعر.
- سكون نهايات الجمل والسطور والمقاطع في قصيدة النثر.

- إمكانية قراءة مفردات القصيدة الداخلية دون الالتزام بالحركات، أي تعميم السكون على كامل القصيدة.
- الغموض وصعوبة الفهم والتفسير بشكل مطلق؛ لذا يتوجّب على قارئ قصيدة النثر التروّي والتأمّل في قراءتها
- قابلية قصيدة النثر للتعديل، لذلك وصفت بأسفنجية البناء والتركيب.

3- نشأة قصيدة النثر:

تجدر الإشارة هنا، إلى أنّه اختلف النقاد حول البداية الحقيقية لقصيدة النثر العربية، وفي عمومه، اقترنت قصيدة النثر بطموح جمهور من الشعراء كانوا يصبون إلى الانقلاب على سلطان القواعد إلى عالم رحب الآماد، وعليه كان النزوع إلى الحرية من البوادر الأولى لظهور قصيدة النثر، -بوصفها بحثا عن اتجاه شعري حرّ- لتطيح بمظاهر الجمود والركاكة والصيغ التي ميّزت الشعر الكلاسيكي.

أ- **عند الغرب**: ظهرت قصيدة النثر على يد الشعراء الرمزيين الفرنسيين، وعلى رأسهم الشاعر(شارل بودلير) في مجموعته (قصائد نثرية قصيرة)، و(رامبو) الذي كان مفتونا بهذه القصائد، بالإضافة إلى الشاعر(ملارميه) الذي حظى بقصيدة النثر خطوات عريقة، فجعل من القصيدة حلقة وصل بين الشاعر والقارئ، حيث قال:" إنّ معنى أبياتي هو ذلك الذي يعطيه لها القارئ"، وظهور هؤلاء الشعراء في فرنسا يؤكد أن قصيدة النثر فرنسية بامتياز.

وقد قامت الكاتبة الفرنسية سوزان برنارد، لأوّل مرّة في تاريخ النقد العالمي بكتابة تاريخ شامل لقصيدة النثر، من حيث هي جنس شعري متميّز في كتابها(قصيدة النثر من بودلير حتّى أيامنا) الصادر في باريس عام1959م.

أمّا في أمريكا، فقد تبوأ الشاعر(والت وتيمان) الصدارة بين الشعراء، الذي تصدروا لكتابة القصائد النثرية، ولاسيما في ديوانه(أوراق العشب) عام 1885م. وجُوبهت قصيدة النثر بالمعارضة خارج فرنسا، وهذا ديدن كلّ حركة جديدة، ولكنها لم تلبث أن حصلت على تأشيرة القبول في مملكة الشعر، بل أنّ التَّحمسَ لها بدأ يتصاعد يوما بعد آخر.

ب- **عند العرب:** إن الحماسة للنتاج الغربي والهوس بالمنجز الحضاري للغرب، كان من أهم العوامل المساهمة في نشأة قصيدة النثر العربية. ويعد أدونيس، خليل حاوي، ونديرعظمة، ومحمد الماغوط، الشعراء الأساسين الذين شكلوا نواة هذا الشعر في البداية، والذين أنضم إليهم عدد من الشعراء والنقاد، أمثال: سعد رزوق، أنسي الحاج، وخالدة سعيد.ومنذ صدور العدد الأوّل لمجلتهم(شعر) اللبنانية عام 1957م، أخذت هذه الجماعة تتعهد هذا اللّون الإبداعي الجديد بالرعاية والتبشير سواء عن طريق طبع مجاميع قصائد النثر، أو عن طريق ترجمة أعمال كثير من الشعراء الذين كتبوا القصائد النثرية، مثل بودلير، رامبو، ملارميه، والت ويتمان، أو عن طريق تشجيع الناشئين على كتابة قصيدة النثر.

ولم تكن مصر شديدة الحماسة لهذا الاتجاه الشعري الجديد في أوّل الأمر على نطاق الإبداع الشعري، أمّا على نطاق التنظير، فإنّنا نجد(غالي شكري) شديد الحماسة لقصيدة النثر في كتابه(شعرنا الحديث...إلى أين؟).

أمّا في العراق، فقد كان المناخ مهيئاً لاستقبال قصيدة النثر، لاسيما بعد دعوات الزهاوي إلى الشعر (المرسل)، والرصافي إلى الشعر (المهموس)، وحسين مردان في ديوانه(الربيع والجوع) الذي جاء على غلافه أنّه من النثر(المركز)، وشكل ظهور مجلة(شعر الكلمة) في العراق عام 1968م منبرا يدعو الشعراء إلى كتابة قصيدة النثر بكلّ حماسة مستندين إلى أنّ" الدعوة لكتابة قصيدة النثر تنطلق من موقف حضاري قائم على نقيض شعري يستند على النقل الميكانيكي للمنظورات والعقل...ذلك أنّ القوى المعطلة داخل الإنسان لا يمكن أن تجد طريقها في الشعر إلاّ من خلال الصراع الشعري ذاته".

وإذا كانت قصيدة النثر العربية قد بدأت تحذو حذو القصيدة النثرية الغربية، فقد حققت فيما بعد حضورها الخاص اعتمادا على استقراء كثير ممّا جاء به التراث العربي، الذي يحتمل أكثر من قراءة تجعله محملاً بالأبعاد الإنسانية الخالدة، ويسعى إلى تحقيق ذلك عدد من الأدباء والنقاد يقف أدونيس على رأسهم.

4-آراء النقاد حول قصيدة النثر:

تُظهر الكُتبُ النقدية الخلاف القائم حول قصيدة النثر، ويتضح في أمرين: أمر يتعلق بالمصطلح المستخدم " قصيدة النثر" أو "الشعر المنثور" أو"النثر الشعري"، وأمر آخر يتعلق برواد هذا الشكل الفني الذين يحاولون لفت أنظار النقاد والأدباء إليه ومن آرائهم ما يأتي:

- **نازك الملائكة**: تحدثت نازك الملائكة في كتابها: "قضايا الشعر المعاصر" عن قصيدة النثر، ويبدو من خلال حديثها عنها أنها معترضة على تسميتها بقصيدة النثر، والسبب في ذلك أن المصطلح ليس دقيقًا، فالنص إمّا أن يكون شعرًا، أو أن يكون نثرًا، ووجدت نازك أن هذا النوع من القصائد أدى إلى الخلط بينه وبين الشعر الحر أو شعر التفعيلة. ومما يؤكد رفضها لقصيدة النثر أيضًا قولها " إن طائفة من أدباء لبنان يدعون اليوم إلى تسمية النثر شعرًا، وقد تبنت مجلة شعر هذه الدعوة، وأحدثت حولها ضجيجًا مستمرًّا ،لم تكن فيه مصلحة لا للأدب العربي، ولا للغة العربية، ولا للأمة العربية نفسها".

- **أدونيس:** يتمثل رأي أدونيس بقوله " لا بد لهذا العالم، إذن، من الرفض الذي يهزه، لابد له من قصيدة النثر كتمرد أعلى في نطاق الشكل الشعري"، وقال أيضا: "أكثر الشعراء في الغرب الذين كتبوا قصيدة النثر، كتبوا قبلها قصيدة الوزن. وكانت قصيدة النثر حدًّا نهائيًّا لتجاربهم الشعرية، ولم تكن هربًا فنيًّا من الصعوبة إلى السهولة". وهذا يدل على أن أدونيس مع قصيدة النثر، بل هو رائد من روادها، وكاتب من كتّابها.

- **أنسي الحاج**: وهو من أبرز جماعة مجلة (شعر) التي ظهرت عام 1957م، وكان تنظيره في ديوان **(لن)** الذي كان كتابًا نثريًّا بعنوان شعري ، يتهم كلّ من يعود إلى التراث أو القصيدة التقليدية وحتى التفعيلة بالتخلف عن الحضارة. وقد كانت رؤية أنسي الحاج تتمثل بأن هذا الشكل الجديد سيمثل الحرية للشاعر المعاصر؛ للتعبير عن رؤيته الجديدة للعالم التي تستوجب وجود شكل أدبي جديد، يعبر فيه بحرية عمّا يريد دون قيود، ويظهر هذا واضحًا في قول أنسي الحاج: " شاعر قصيدة النثر شاعر حر، وبمقدار ما يكون إنسانًا حرًّا أيضًا، تعظم حاجته إلى اختراع متواصل للغة تحيط به ، ترافق جريه... ليس للشعر لسان جاهز، ليس لقصيدة النثر قانون أبدي"، ويمكن الملاحظة أن مقدمة ديوان **(لن)** هي مهاجمة للتراث، وقصيدة النثر - بحسب رأي أنسي الحاج- هي التي ستخلص الشاعر المعاصر من التبعية للتراث، ومن سلطته.

5- نماذج من قصيدة النثر:

من المهم في نهاية هذه المحاضرة أن يتم تقديم نماذج من قصيدة النثر التي اختلف حولها الشعراء والنقاد، فبعضهم أدخلوها في باب الشعر، وبعضهم أخرجها من باب الشعر، وهذه النماذج هي لرواد كتّاب قصيدة النثر الذين اهتموا بها، ودعوا إلى كتابتها، منهم:

- **أدونيس:** شاعر سوري- لبناني(1930)

في عَتْمة الأشياء في سرِّها
أحبُّ أن أبقى
أحبُّ أن أسْتبطنَ الخَلْقا
أحبُّ أن أشردَ كالظنِّ
كغربة الفنِّ
كالمبهم الغُفْلِ وغير الأكيدْ
أولَدُ في كلِّ غدٍ من جديدْ.

- **أُنسي الحاج:**شاعر لبناني(1937-2014)

غيوم غيوم
يا غيوم
يا صُعداء الحالمين وراء النوافذ
غيوم، يا غيوم
علِّميني فرَحَ الزوال!

هل يحِبّ الرجل ليبكي أم ليفرح
وهل يعانق لينتهي أم ليبدأ ؟
لا أسألُ لأُجاب، بل لأصرخ في سجون المعرفة
ليس للإنسان أن ينفرج بدون غيوم
ولا أن يظفر بدون جِزْية.

- **محمد الماغوط**:أديب وشاعر سوري (1934-2006).

عكازك الذي تتَّكئ عليه يوجع الإسفلت
فـ"الآن في الساعة الثالثة من هذا القرن
لم يَعُد ثمَّة ما يفصل جُثث الموتى
عن أحذية المارة"
يا عَتبتي السمراء المشوهة
لقد ماتوا جميعًا: أهلي وأحبابي
ماتوا على مداخل القرى
وأصابعهم مفروشة
كالشوك في الريح
لكني سأعود ذات ليلة
ومن غلاصمي
يفور دمُ النرجس والياسمين.

وعليه ارتبطت قصيدة النثر بِرَكْبِ الحداثة الشعرية ، وكان إقبال الشعراء على هذا الشكل الجديد، طريقة لتجاوز القديم والتخلّص من شيء له صلّة بالثوابت، والتأسيس للنقيض الذي يدعو إلى التغيير باستمرار.